





تظاهرة مناوئة لنتنياهوو عشية الانتخابات.

(الغيب)

## صورة الوضع الاجتماعي ٢٠٢١: أزمة «كورونا» عمقت «جائحة اللامساواة» في إسرائيل!

كتب سليم سلامة:

كتب وقيل الكثير الكثير عن الآثار التي خلفتها وستخلفها جائحة كورونا، سواء في المدى القوي أو في المدى المتوسط والبعيد، في مختلف مناحي حياة الناس على امتداد دول العالم أجمع. وفي المقدمة منها بالطبع مجالات الاقتصاد، والعمل وقطاعاته المختلفة، ناهيك عن المجال الصحي بالتأكيد. لكن الكثير مما كتب وقيل ظل محصوراً في دائرة التوقعات والتقييمات المستقبلية، التي هي أقرب إلى التكهنات، بينما القليل منه فقط تضمن معطيات إحصائية ترسم صورة حقيقية لما خلفته الجائحة على أرض الواقع فعلياً، من جهة، فيما برزت ندرة الدراسات الإحصائية التي تربط بين آثار الجائحة وبين المساواة الاجتماعية وتعرض حقيقة الإسقاطات المترتبة على هذه الجائحة على واقع انعدام المساواة في الدول والمجتمعات المختلفة، من جهة ثانية.

هذا، بالذات، ما يميز التقرير الذي أعده مجموعة من الباحثين في مركز «أدفا» - معلومات حول المساواة والعدالة الاجتماعية في إسرائيل، (ضمت كلا من: شلومو سفيرسكي، إيتي كونيور - أطياس، برابره سفيرسكي، يوفال ليفنات، يارون هوفمان - ديشون وأفيف ليرمان) ونشره المركز تحت عنوان لافت يقول: «صورة الوضع الاجتماعي لعام ٢٠٢١: كورونا وجائحة اللامساواة في إسرائيل»، فيجعله تقريراً فريداً وذا أهمية خاصة يختلف عن جميع التقارير السابقة التي صدرت عن هذا المركز من قبل، بصورة سنوية، تحت الاسم ذاته «صورة الوضع الاجتماعي»، بينما أضيفت إليه هذا العام عبارة تخصيصية مشحونة بالدلالات تقول «كورونا وجائحة انعدام المساواة» هكذا تكون الكورونا «مجرد فيروس» فيما انعدام المساواة هو «جائحة»، في نظر «مركز أدفا»، وهو مركز أبحاث مستقل متخصص في رصد الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية وفي تحليل السياسات الحكومية إزاء تلك الاتجاهات؛ وهو يرصد الاتجاهات ويحلل السياسات وفق معايير المساواة والعدالة الاجتماعية وينشر، بصورة منتظمة، تقارير فصلية تتناول طيفاً واسعاً من الموضوع.

يبدو من غير المنطقي تماماً اعتبار توقيت نشر هذا التقرير، مطلع الأسبوع قبل الماضي، مجرد صدفة، إذ جاء بالتزامن مع الانتخابات النيابية العامة للكنيست الـ ٢٤، التي جرت يوم الثلاثاء قبل الماضي، والتي احتل فيها موضوع جائحة الكورونا، طرق معالجتها وإسقاطاتها، الصحية والاقتصادية والاجتماعية، حيزاً لا بأس به من الدعاية الانتخابية لمختلف الأحزاب وقوائمها الانتخابية المتنافسة في المجتمع اليهودي الإسرائيلي، لا سيما وبشكل خاص حزب الليكود الذي استثمر رئيسه ومرشحه الحالي لرئاسة الحكومة، بنيامين نتنياهو، موضوع الجائحة وما حققته إسرائيل على صعيد التطعيمات ضد الفيروس للتغطية على، ومكافحة، كل ما يمكن أن يشكل حجة انتخابية قوية ضد، أبرزها بالطبع لائحة اتهام الجنائية وتهم الفساد السلطوي التي يواجهها هذه الأيام.

يمتد تقرير «صورة الوضع الاجتماعي لعام ٢٠٢١: كورونا وجائحة اللامساواة في إسرائيل» على ٣٨ صفحة مقسمة على ثمانية أبواب تحت العناوين التالية: ١. المقدمة، ٢. الميثاق الأعلى لم يتضرر، لا بل ساعدته الحكومة على مواصلة التعاظم؛ ٣. الهايتك أيضاً لم يتضرر وحظي، هو أيضاً، بدعم

دولاني سخي؛ ٤. المصالح التجارية الصغيرة؛ ٥. انعدام الأمن الغذائي خلال فترة الكورونا؛ ٦. اللامساواة ونسبة الإصابة بمرض كورونا؛ ٧. الصحة النفسية؛ ٨. السكن.

### بين أسفل الهرم وقمته!

يعرض تقرير «أدفا» السنوي الأخير معطيات مختلفة عن بعض أوجه «جائحة اللامساواة في إسرائيل خلال فترة الكورونا»، كما يصفها، من خلال التركيز على ثلاث مجموعات سكانية محددة، بصورة خاصة، هي: المئين الأعلى (المئين هو مصطلح إحصائي يعني: جزء واحد من المجموع الفئسي إلى مائة جزء. بمعنى آخر: ١/١٠٠)؛ العاملون في قطاع التقنيات العالية (هايتك) والمصالح التجارية الصغيرة. ثم يشير التقرير إلى العوامل التي تؤثر على مدى التعرض للجائحة وعلى مدى الإصابة بالمرض، إلى جانب الاستجابات الحكومية في مجال الصحة النفسية للأشخاص الذين يعانون من ضائقة في مثل هذا الوضع، ثم ينتهي التقرير إلى عرض الآثار الأبرز التي ترتبت على وباء كورونا على مجال السكن، وسط التركيز على الاقتصادات المنزلية التي تنشق جزءاً كبيراً من مدخولاتها على أجرة السكن أو تسديد قروض الإسكان (مشكنتا).

على هذا، يؤكد تقرير «أدفا»، بالمعطيات وتحليلها، أنه بينما اضطرت الفئات السكانية الواسعة من الطبقات الدنيا والمتوسطة في «الهرم الاجتماعي» إلى الاكتفاء برسوم البطالة الزائدة التي تدفعها الدولة، بالعبث والمنع المتفرقة أو إلى كسر وسحب التوفيريات العائلية المختلفة لضمان القدرة على تمويل الحاجيات الأساسية خلال أزمة الكورونا، فقد واصلت الفئات السكانية الضيقة من الطبقات العليا في الهرم الاجتماعي ذاته الحفاظ على مدخولاتها كاملة، بصورة كاملة، بل شهدت هذه المدخولات ازدياداً ملحوظاً في العديد من الحالات. وفي رأس الهرم، في أعلى هذه الطبقات، واصلت شريحة «الأثرياء إسرائيل» الاستمتاع بالمدخولات والأرباح العائلية من عوائد رأس المال الذي في حوزتها، بما في ذلك الشركات التجارية والعقارات، سواء في داخل البلاد أو خارجها.

يسجل معدو التقرير ملاحظة توضيحية هامة تقول إنه في السنوات العادية، تقدم «وثيقة صورة الوضع الاجتماعي» عادة نظرة شاملة عن وضع اللامساواة في المجتمع الإسرائيلي بالاعتماد على معطيات الإحصاء الرسمي السنوي الخاص بمصرفات الاقتصادات المنزلية، الذي يعده وينشره المكتب المركزي الرسمي للإحصاء في إسرائيل. وتتطرق معطيات هذا الإحصاء، عادة، إلى الوضع الذي كان سائداً في السنة السابقة (التي سبقت إجراء الإحصاء ونشره). أما في هذه السنة، فإن معطيات الإحصاء لعامي ٢٠١٩ و ٢٠٢٠ لم تُنشر بعد. وحتى لو كانت قد نُشرت، فإن أهميتها ستكون محدودة جداً نظراً لكون المعطيات عن سنة ٢٠١٩ ليست ذات صلة وأهمية في ضوء الأضرار الجسيمة التي خلفها وباء كورونا.

انصبّ جل الاهتمام العام خلال السنة الأخيرة، كما يسجل التقرير، حول الأضرار الاقتصادية الناجمة عن وباء كورونا، وخصوصاً بين النساء والرجال القابعين في الدرجات الدنيا من «الهرم الاجتماعي»؛ العاملون الأجيرون الذين جرى فصلهم من أماكن عملهم والمقاولون في سوق البطالة، العمال الذين جرى فصلهم من أماكن عملهم بصورة مؤقتة وأخرجوا إلى «عطلة غير مدفوعة الأجر»، أصحاب المصالح الصغيرة الذين اضطروا إلى

إغلاق مصالهمهم التجارية المختلفة، التي تشكل «مشروع حياة» بالنسبة لكل واحد منهم. وينته التقرير إلى نقطة أساسية مؤداها أن أضرار الوباء لم تكن تماثلها، ولا حتى متشابهة، فبين أعضاء الطبقات العليا من الهرم الاجتماعي - الاقتصادي، نجوا كثيرون جداً من أضرار الكورونا تماماً، أو تعرضوا لأضرار طفيفة جداً فقط، بينما واصل كثيرون آخرون منهم تكديس الأرباح بصورة عادية تماماً، بينما اضطر ملايين البشر من أعضاء الطبقات الدنيا في هذا الهرم إلى البحث عن مصادر تضمن لهم البقاء وسدّ الحد الأدنى من الاحتياجات الضرورية.

وبينما خرج، أخرج العديد جداً من أصحاب المصالح التجارية الصغيرة والمتوسطة، وأكثر منهم من العمال والعمالات لديهم، من دائرة العمل إلى سوق البطالة، واصل عمال قطاع الهايتك التمتع باستثمارات مالية كبيرة، وهو ما يصفه معدو التقرير بأنه «هزة قوية» ذات إسقاطات متعددة المستويات ستظل آثارها واضحة عبر أجيال عديدة قادمة، ذلك أن الامتيازات التي حصلت عليها الطبقة العليا لن تتجسد في مستوى المداخل فقط، وإنما في جودة السكن وموقعه، في مستوى التعليم، في جودة الحياة ومستواها وفي حجم الموروثات التي ستنتقل إلى الأحفاد وأحفاد الأحفاد. وفي المقابل، سيصطدم الكثيرون من المستقلين أصحاب المصالح الصغيرة والمتوسطة بواقع لفظهم من صفوف الطبقة الوسطى.

في المقابل، من المهم الانتباه إلى حقيقة يشير إليها التقرير هي أن كثيرين جداً من العاملين في القطاع العام (الحكومي) لم يتضرروا بشكل جدي من الأزمة الاقتصادية الناجمة عن وباء الكورونا، لكنهم لم يستفيدوا (لم يربحوا) منها أيضاً.

### مئين حديث العهد وامتيازات «عريقة» وهايتك يعمق الفجوات!

في موازاة الفئات الأخرى جميعها، وخلافاً لها، ليس فقط أن المئين الأعلى في إسرائيل لم يتضرر، من هذه الأزمة، إطلاقاً، لا بل قدمت الحكومة له مساعدات سخية أيضاً، ليواصل التعاظم بصورة واضحة تماماً. والمئين الأعلى هو ظاهرة اجتماعية جديدة، نسبياً، في دولة إسرائيل، كما يقول التقرير، ولذلك كان من المتوقع، ظاهرياً فقط، أن تعود الأزمة الاقتصادية الناجمة عن وباء الكورونا بالضرر عليه هو أيضاً، كما عادت بالضرر على قطاعات وفئات أخرى في المجتمع والاقتصاد الإسرائيلي. لكن ليس هذا ما حصل في الواقع؛ فعلى غرار ما حصل للفئات الموازية له في الدول الأوروبية والأميركية، والتي تميز بقدم تاريخي وعراقية، ورغم حداثة عهده النسبية في إسرائيل، إلا أن المئين الأعلى في إسرائيل خرج من هذه الأزمة أكثر صلابة وقوة اقتصاديين.

ممن يتألف المئين الأعلى في إسرائيل؟ - من الأثرياء جداً الذين يشكلون طبقة تشكلت وتبلورت خلال العقدين ونصف العقد الأخير بوجه خاص، في ظل نشوء وتنامي مجموعات تجارية عائلية كبيرة واتساع ظاهرة بيع الشركات البائدة في مجال الهايتك وأمركة نظام رواتب الموظفين والمديرين الكبار في الشركات والاتحادات التجارية الكبرى.

هي ظاهرة غير حصريّة لإسرائيل وحدها بالطبع، غير أن الفارق الأساس بين إسرائيل وغالبية الدول الغنية في هذا الشأن هو أن هذه الطبقة في إسرائيل حديثة العهد تماماً وتفتقر إلى «الإرث العائلي» لكنها تلجأ مكاتنتها في السنوات الحالية بشكل أساس، وهو ما يكسبها هذه

الأهمية الكبيرة من حيث تأثيراتها الطبقة الحاسمة على أزمة الكورونا.

ما الذي حصل لهذه الفئة إبان أزمة الكورونا؟ يسأل التقرير ثم يحاول رصد التطورات في إجابة تحدد أربعة مميزات/ اتجاهات: أولاً - تصدّرت هذه الشريحة قائمة المستفيدين من الحماية والمساعدات التي وفرتها وقدمتها الدولة «لتعويض الناس عن أضرار الأزمة»؛ ثانياً - أعفّت الدولة جميع أرباحها من عبء التمويل الفوري لنتائج الأزمة الاقتصادية وإسقاطاتها. المقصود هنا تمويل ما أنفقته الدولة لدعم الفئات المتضررة جداً من الأزمة، سواء المواطنين العاديين أو أصحاب المصالح التجارية الصغيرة، إذ بلغ حجم هذه المساعدات نحو ١٣٧ مليار شيكل، لم تكن ضمن الميزانية العادية للدولة، ما يعني أنها زادت حجم العجز في الميزانية العامة وحجم الدين الحكومي على حد سواء، وهو ما كان يفترض أن تغطيه الدولة وتعرض عنه - باعتباره «حالة طوارئ» - بواسطة فرض ضريبة خاصة على الأغنياء، لكنها لم تفعل؛ ثالثاً - اجتهدت الدولة من أجل المحافظة على الثقة الذي كانت توليها الأسواق المالية العالمية لدولة إسرائيل، ثم لشركاتها واتحاداتها التجارية الكبرى، وهو ما انعكس في قرار شركات تدرّج الاعتمادات الدولية الكبرى الإبقاء على تدرّج إسرائيل في سلم الاعتمادات على حاله وعدم خفض تصنيفها، حتى في ذروة الزيادة في الدين والعجز الماليين. في المحصلة، كانت الشركات التجارية الإسرائيلية الكبرى المستفيدة الأساسية من كل ما حصل في هذا المجال؛ ورابعاً - استفاد المئين الأعلى أيضاً من حقيقة عدم تضرر سوق رأس المال الإسرائيلية بصورة جديّة جراء الأزمة، في الوقت الذي تعطلت فيه الأنشطة الاقتصادية المختلفة في البلاد.

هذا ما حصل، بشكل عام، في مجال الهايتك أيضاً، ولو من حيث النتيجة العامة - عدم التضرر جراء الأزمة الاقتصادية الحادة الناجمة عن وباء الكورونا، بل استمرار الزدهار فيه حتى في ذروة هذه الأزمة، إلى جانب حصوله على مساعدات مالية سخية من جانب الدولة. في ما يتصل بمجال الهايتك يطرح تقرير «أدفا» سؤالاً مركزياً يؤكد على ضرورة البحث فيه والإجابة عليه يمكن صياغته بالتالي: هل ما هو جيد للهايتك جيد لدولة إسرائيل، حقاً؟ وهو سؤال تفرضه حالة الربط الوثيق السائدة في إسرائيل بين تقدم الهايتك ومصالح إسرائيل، باعتبار الهايتك «العربة التي تجر الاقتصاد الإسرائيلي كله خلفها»؛ وهو ما يتجسد، أكثر ما يتجسد، في وصف دولة إسرائيل بأنها «أمة الستارت أب» (أمة تأسيس الشركات البائدة). لكن معدي التقرير يستأنفون على هذا التوصيف مؤكدين على حقيقة أن قطاع الهايتك الإسرائيلي يعمق الفجوات الاقتصادية والاجتماعية لأنه «يتيح ازدهار الشريحة العشرية الأعلى فقط» (الشريحة العشرية هي الجزء الواحد من المجموع المقسم إلى عشرة أجزاء).

### المصالح التجارية الصغيرة، الأمن الغذائي والعرب!

سببت أزمة الكورونا في مجال الاقتصاد أضراراً جسيمة للمستقلين والمصالح التجارية الصغيرة، بشكل خاص، والتي اضطرت عدد غير قليل منها إلى إغلاق أبوابه ووقف عمله بصورة نهائية حيال تكديده خسارات مالية فادحة أغرقته في ديون لن يستطيع تسديدها بسهولة وتجعل من الصعب جداً عودته إلى مزاولة نشاطه التجاري كما كان في السابق، وقد كان ذلك إحدى النتائج المركزية

للإغلاقات المتكررة والطويلة والتقييدات التي منعت الناس من ارتياد المطاعم، المسارح، الفنادق، مراكز التجميل ومراكز التمارين الرياضية وغيرها.

في هذا السياق، أشار التقرير إلى حقيقة أن «المصالح التجارية الصغيرة هي المسؤولة الأولى والأساسية عن الزيادة التي سجلت في إسرائيل خلال العقدين الأخيرين في مجال العمل والتشغيل وتقليص نسبة العاطلين عن العمل، إذ أن هذه المصالح الصغيرة، ورغم كون كل منها صغيراً على حدة إلا أنها مجتمعة تشكل المشغل الأكبر في الاقتصاد الإسرائيلي»؛ في العام ٢٠١٨، مثلاً، شغلت المصالح التجارية الصغيرة والمتوسطة ما يزيد عن ١,٩٢ مليون وظيفة لعمال أجيرين، شكلت ٦٠٪ من مجموع الوظائف في القطاع التجاري، البالغ ٣,١٧ مليون وظيفة. وبينما أشارت إحصائيات «المعهد الإسرائيلي للديمقراطية» إلى أن ٨٪ من أصحاب المصالح التجارية الصغيرة والمتوسطة قالوا في كانون الأول ٢٠٢٠ إنهم قد أغلقوا مصالهم هذه بصورة نهائية، مقابل ٥,٤٪ قالوا ذلك في حزيران من العام نفسه، فقد تبين أن مجموع عدد المصالح التجارية الصغيرة في إسرائيل قبل أزمة الكورونا بلغ نحو نصف مليون (٥٠٠ ألف) مصلحة تجارية، أغلق منها ٤٠ ألفاً بسبب أزمة الكورونا.

أما مؤسسة «دان أند برادستريت» فقد نشرت تقديرات ورد فيها أن ٣٧٦٠٠٠ مصلحة تجارية صغيرة قد أغلقت في إسرائيل خلال النصف الأول من العام ٢٠٢٠ بسبب أزمة الكورونا، وتوقعت أن مجموع المصالح التجارية التي ستغلق أبوابها نهائياً في العام ٢٠٢٠ بسبب هذه الأزمة في إسرائيل سيبلغ ٨٥ ألف مصلحة، أي بزيادة مقدارها ٨٥٪ عما كان في العام ٢٠١٩.

في موازاة ذلك، دلت الإحصاءات السريعة التي أجراها «المكتب المركزي الرسمي للإحصاء» على أربع موجات في أربعة أشهر هي نيسان، أيار، تموز وتشربن الثاني ٢٠٢٠ على أن النسبة الأكبر من المواطنين الذين قالوا إنهم يعانون من «انعدام الأمن الغذائي» في ظل أزمة الكورونا كانت بين المواطنين العرب، إذ بلغت في المتوسط ٣٣٪ مقابل ١٤,١٪ في المتوسط العام على مستوى الدولة كلها.

واستكمالاً للصورة، تطرق التقرير إلى عامل «اللامساواة» باعتباره أحد المركبات المركزية في العوامل الاجتماعية - الاقتصادية الأربعة التي تزيد من خطر الإصابة بفيروس الكورونا والتي تشمل: الأمراض السابقة، الحالة الاجتماعية - الاقتصادية، ظروف الحياة ومدى الثقة بالنظام الحاكم ومؤسساته، إضافة إلى العامل الخامس وهو السن.

في النتيجة، فإن العوامل التي أدت إلى أضرار «انتقائية» ترتبت على فيروس الكورونا قد تجسدت في معدلات الوفاة جراء المرض، والتي تؤكد بوضوح أن معدل الوفيات بين العرب فوق سن الـ ٦٠ عاماً بلغت ثلاثة أضعاف المعدل بين اليهود الحريديم وأن المعدل بين هؤلاء الأجيالين بلغ أربعة أضعاف المعدل بين اليهود غير الحريديم.

كذلك الحال بالنسبة إلى الاضطرابات النفسية التي نجمت عن أزمة الكورونا، الصحية والاقتصادية والاجتماعية (الإغلاقات) وسجلت ارتفاعاً حاداً خلالها، إذ بينت المعطيات الإحصائية أن المتضررين الأوائل والأساسيين في هذا المجال أيضاً كانوا من الفئات السكانية الفقيرة بشكل خاص، وفي مقدمتهم المواطنون العرب.

## عودة إلى «قضية كاستنر»: محاكمة «شياطين الماضي»!



رودولف إسرائيل كاستنر.

النقد الذي وجه لجذها وما بين مواضيع السياسة الحالية في إسرائيل؛ فمنتقدو كاستنر لم يهتموا بولائه لليهود، ولم يهتموا بإنقاذه لبعضهم، ولكنهم فقط حاكموه لأساليبه التي تخرج عن إجماع التيار السائد في المجتمع الإسرائيلي آنذاك. كانت ميخائيلي تلفت النظر إلى موقع اليسار حالياً في السياسة الإسرائيلية، في مجتمع تتصاعد فيه القومية والسياسة اللافتاوضية التي تنسجم والإجماع السائد في المجتمع الإسرائيلي. وقد عادت مرة أخرى العام ٢٠١٩ في تعقيبها على مقال نقدي لكاستنر عبر موقع تويتر لتفتعل رطباً ما بين الهجوم عليها في الحاضر والهجوم على جذها في الماضي؛ «قتل كاستنر في دولة إسرائيل رغم أنه أنقذ يهوداً. وقد قُتل بعد حملة تحريض سياسية قاسية، لصالح قوى سياسية مسيانية يمينية خطيرة؛ أنا فخورة بكوني حفيدة إسرائيل كاستنر». وضعت ميخائيلي كاستنر إذا موضع «الشهيد»، الذي قُتل وخوكم رغم ولائه لليهود ولدولة إسرائيل؛ التي لم تكن قادرة على حمايته من التطرف اليميني؛ في إشارة ربما إلى وضعها الحالي في دولة تعج بالمتطرفين والمستوطنين وفي ظل خروجها - أو ما تراه هي خروجاً - عن الإجماع الصهيوني الإسرائيلي. يعود كاستنر إذا إلى المشهد الإسرائيلي ولكن بعد تأويله وتاويل تاريخ «الضحايا المجرمين» اليهود من خلال أيديولوجيا الحاضر، وهي عملية تأويلية كاشفة عن نمط ثابت في أيديولوجيا اليمين الصهيوني عندما يتعلق الأمر بعلاقة اليهود بالآخر، نازياً كان أم بريطانياً، أم فلسطينياً، وهو النمط القائم على القوة أولاً - كما في «مقالة الجدار الحديدي» لرئيف جابوتنسكي - وعدم التفاوض النطلق.

### مراجع:

- Rudolph Kastner and how History becomes Midrash, Chesky Kopel, The Lehrhaus, December 29, 2019.
- Kapos: Can Jews be found guilty of partnering with Nazis? David Mikiks, The Tablet.
- Guest Contribution, "Judging Evil in the Trial of Rudolf Kastner", History Cooperative, November 22, 2016.
- The "strange Mr. Kastner"- Leadership ethic in Holocaust-era Hungary, in the light of grey zones and dirty hands, Paul Sanders, Leadership Vol. (12) 1 4-33, 2015.

كان الطريقة الوحيدة لإنقاذ الذّات، أو العائلة، أو الأصدقاء، وذلك كان روتينياً بالنسبة لأفراد الشرطة اليهودية الذين سلموا اليهود للنازيين مقابل العفو عنهم وأحياناً حتى عن عائلاتهم. في ذلك الإطار وُضع كاستنر؛ في إطار الشخصية الأنانية التي فضلت إنقاذ نفسها على الآخرين، وفي الإطار نفسه وضع اليمين الصهيوني حزب المباي والوكالة اليهودية وكل مؤسسة صهيونية لم تحاول إنقاذ اليهود في أوروبا بأي طريقة ممكنة. بالنسبة لغرينوالد وانصاره حتى اليوم؛ ذلك كان النهج اليساري الإسرائيلي، نهج المفاوضة والمهادنة الذي مثله لاحقاً العام ١٩٩٣ إسحاق رابين واغتيال بسببه، وذلك أساس نهج اليمين الصهيوني في إسرائيل اليوم بما يتعلق بملف الاستيطان والفلسطينيين؛ لا تفاوض، على الإطلاق، لا شيء على الإطلاق.

### يسار جديد، يمين قديم!

شكل كاستنر موضوعاً جدلياً ما بين اليسار واليمين في إسرائيل على مدى ٧٥ عاماً المنصرمة، لكن الجدل عاد ليتجدد مرة أخرى بعدما قبلت مؤسسة «ياد فشم» الخاصة بإرث الهولوكوست العام ٢٠٠٧ وللمرة الأولى أرشيف عائلة كاستنر كجزء من أرشيف الهولوكوست. ولاحقاً مع صدور الفيلم الوثائقي Killing Kasztner العام ٢٠٠٨. ولكن ذروة الجدل كانت بعد انتخاب ميراف ميخائيلي، حفيدة رودولف كاستنر، العام ٢٠١٣ عضواً في الكنيست عن حزب العمل الإسرائيلي، ولاحقاً العام ٢٠٢١ رئيسة للحزب نفسه. في خطابها الأول أمام الكنيست بعد انتخابها، رأت ميخائيلي أن هناك رابطاً مباشراً ما بين التشكيك في دوافع جذها وما بين الهجوم اليميني على اليسار الإسرائيلي؛ «هو أنقذ اليهود بطريقة قد تبدو للبعض غير ملائمة، وليست يهودية كفاية، وليست صهيونية كفاية. أنا أنحدر من عائلة مؤسسة، ولكنها ليست كلياً من التيار المهيمن، وليست جزءاً من الإجماع... من المعتاد إسرائيلياً أن أي نقد للدولة أو للطريقة التي نتصرف فيها ينظر إليه على أنه فعل من أفعال الخيانة». سرعان ما أصبحت ميخائيلي بعد خطابها وظهرها كيسارية علمانية عدواً للجنح اليميني الديني في إسرائيل؛ وقد أثار تبنيها لإرث جذها وقضته صحوه شعبية مناهضة لكاستنر وموظفة إياه في سياق السياسة الإسرائيلية الزاهنة. عاد كاستنر إذا ليكون في القلب من الفضل القائم بين اليمين الشجاع واليسار الضعيف. ميخائيلي وازت ما بين

فكاستنر دافع عن نفسه لتفنيذ الاتهامات الموجهة إليه بينما وقف غرينوالد من وراء محاميه شموئيل تامير، الذي تلخّص دفاعه في عدم إنكار أي تهمة موجهة لموكله والتأكيد على صحتها جميعاً. «نعم هو قال الحقيقة»، قال تامير عن موكله، مدعياً أنه لو أن اليهود أخبروا بخطة معسكرات الاعتقال النازية، لرزما تمكّن بعضهم من الفرار إلى رومانيا، أو ربما ثاروا على الألمان، أو ربما أرسلوا في طلب المساعدة من الخارج، وكل هذا كان يمكنه إبطاء آلة القتل النازية. والآن، عليكم أنتم أن تثبتوا أن هذا الرجل لم يكن متعاوناً مع النازية. وهكذا أصبحت القضية التي رفعها كاستنر ضد غرينوالد، قضية كاستنر.

### قضية اليهودي الجديد ضد قديم المباي

كمحاكمة أدولف أيخمان التي كانت أول محاكمة إسرائيلية لمجرم حرب نازي ألماني، كانت محاكمة «قضية كاستنر» مشهداً وطنياً جعلها بدلاً من كونها محاكمة في قضية تشهير، محاكمة فاحصة لسلك كاستنر خلال الحرب العالمية. وفي حزيران ١٩٥٥، حكم القاضي بنيامين هاليفي في صالح غرينوالد، وأجداً في عبارة فاوستية - نسبة إلى مسرحية فاوست للشاعر والأديب الألماني الشهير غوته - ضلّب حكمه على كاستنر: «ولكن حذار من قبول هدايا الإغريق». في قبول هذه العديّة، كاستنر باع روحه للشيطان». غير أنه في العام ١٩٥٨ عادت محكمة العدل العليا في إسرائيل ونقضت حكم هاليفي وتضمن حكمها نقداً تحييز هاليفي بقرائة المصادر التاريخية. لكن ذلك الحكم جاء متأخراً؛ ففي العام ١٩٥٧ اغتيل كاستنر أمام منزله من قبل المتطرف اليميني وضابط المخابرات السابق زئيف إكشتاين.

لم تكن قضية كاستنر تخض كاستنر بعينه؛ بل كانت جزءاً من صراع اليهودي الجديد ضد قديم المباي، أو ما كان في نظر اليمين الصهيوني قديم المباي. فقد اتهم غرينوالد وأنصاره ولا زال كثيرون حتى اليوم في تيار اليمين السياسي يتهمون الوكالة اليهودية بأنها «اختارت» عدم التدخل لإنقاذ حياة يهود أوروبا من النازية. وكانت هذه النظرية أساس كتاب «الفدر Perfidy's»، لبن هيخت؛ الذي وضع كاستنر في القلب من مؤامرة الوكالة اليهودية على يهود أوروبا الذين تركوا للذبح من أجل الحصول على قبول عالمي للحدود الصهيونية في فلسطين.

تمكّن تامير، لخدماتي غرينوالد، من لي عنق المحاكمة لتصبح محاكمة لكاستنر ولحزب المباي الحاكم في إسرائيل آنذاك. وبالموازاة مع اتهام الوكالة اليهودية باختيار عدم التدخل لإنقاذ حياة يهود أوروبا، كانت هناك نقاشات حادة جارية داخل اليسوف - الكيان السياسي الذي كان مسؤولاً عن المستوطنين اليهود في فلسطين - حول العلاقة مع البريطانيين في فلسطين. وفي حين اختار المباي مساندة البريطانيين في حربهم ضد النازية، اعتقد اليمين الصهيوني أنه لا بد من استكمال العمل العسكري ضد البريطانيين لإجبارهم على منح الحركة الصهيونية مطالبها المتمثل في إقامة دولة يهودية في فلسطين. تمكّن تامير من خلق موازاة ما بين قيادة المباي وما بين كاستنر بسبب انتماء الأخير لحزب المباي؛ مدعياً أن كليهما فضلاً التفاوض والتعاون على «المقاومة» العسكرية، وكان هذا الخيار على الدوام كارثياً لأنه كان السبب وراء تسهيل عملية إبادة ملايين اليهود في أوروبا. كان على المحاكمة من وجهة نظر تامير أن تكون درساً للرأي العام الإسرائيلي، درساً لتحذيره من أي مفاوضات براغماتية كان تُهيّز طباع يهودي الشتات. والآن، براي تامير، على اليهودي الجديد رفض هذه السلوكيات، وكذلك رفض ونقد قيادة المباي التي أظهرت «ذهنية الشتات». كانت المحاكمة دعوة للرأي العام لرفض المباي، وشرعنة اليمين الصهيوني كتمثّل للصهيونية الأصلية القادرة على حماية اليهود مستقبلاً من أي كوارث مشابهة لكوارث الماضي.

وضع اليمين الصهيوني قضية كاستنر في سياق الزواية الأوسع التي تخض التعاون ما بين المباي والنازية، وتحديدًا في سياق اتفاقية التعويضات الموقعة بين إسرائيل وألمانيا الغربية العام ١٩٥٣ والتي واجهت معارضة شرسة من قبل اليمين بقيادة من أصبح لاحقاً رئيساً لحكومة إسرائيل، مناحيم بيغن. ووجد اليمين في كاستنر انعكاساً لعدوهم السياسي بن غوريون، زعيم حزب المباي،

### كتب أنس إبراهيم:

في العام ١٩٥٤ أقام رودولف إيسرائيل كاستنر دعوى قضائية كانت الأولى من نوعها في إسرائيل والتي توجّب فيها على قاضٍ إسرائيلي وللمرة الأولى البث، قانونياً وسياسياً، في مسألة ما إن كان يمكن تجريم بعض اليهود بتهمة التعاون مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية.

كان المتهم عجوزاً يهودياً هنغارياً يدعى ماكيبيل غرينوالد، وكان المدعي هو رودولف كاستنر الذي اتهم غرينوالد بالتشهير به مدعياً أنه كان متعاوناً مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية. كاستنر كان قد عاش في هنغاريا في ذلك الوقت وكان عضواً في لجنة الإنقاذ الصهيونية التي عملت على توفير ملجأ آمن لليهود الفارين من النازية في أوروبا. وبعد الاحتلال النازي لهنغاريا العام ١٩٤٤، عمل كاستنر كمفاوض رئيس بعد استدعائه من قبل ضابط الاس أس النازي، أدولف أيخمان، الذي يعرف بمهندس الحل النهائي، للتفاوض حول مصير اليهود الهنغاريين. عرض كاستنر اتفاقاً مبدئياً لإنقاذ حياة ما يقارب مليون يهودي مقابل عشرة آلاف شاحنة تسلم للجيش الألماني فيما عرف لاحقاً بـ«Blood for Goods». لكن الاتفاق لم ينفذ وأرسل أكثر من ٤٠٠ ألف يهودي إلى معسكر اعتقال أوشفيتز، ومع ذلك تمكّن كاستنر من عقد اتفاق جانبي لإنقاذ حياة ١٦٨٥ يهودياً من بينهم أقاربه وأصدقائه أرسلوا إلى سويسرا مقابل أموال ومجوهرات سلمت إلى أيخمان.

كانت المواجهة الأولى بين كاستنر وغرينوالد بعد انتهاء الحرب مباشرة، عندما وجه الأخير اتهاماً مباشراً إلى كاستنر خلال المؤتمر الصهيوني العام ١٩٤٦ بأنه أناني انتهازية ضحّى بحياة اليهود الهنغاريين للحفاظ على سلامته الشخصية. هذا الاتهام ردّ عليه كاستنر من خلال رفع قضية تولتها محكمة المؤتمر ضد غرينوالد، ولكن المحكمة توصلت إلى قرار بانعدام وجود ما يكفي من الأدلة للوصول إلى قرار حاسم حول القضية وأوصت بتحقيق متعمق في المسألة مستقبلاً. لاحقاً، انتقل كاستنر إلى إسرائيل وانضم إلى حزب المباي - ما أصبح يُعرف الآن بحزب العمل - وبعدها أصبح المتحدث باسم وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية العام ١٩٥٢ وكان مرشحاً للكنيست عن حزب المباي في الانتخابات الإسرائيلية الأولى والثانية برغم عدم نجاحه في الدوريتين.

في ذلك الوقت كان ماكيبيل غرينوالد عضواً فاعلاً في حزب «همزراحي»، الجناح الديني للحركة الصهيونية، وكلاجئ فقد معظم أفراد عائلته في هنغاريا. كانت لغرينوالد دفاع سياسي وشخصية لمطاردة كاستنر مرة أخرى في إسرائيل؛ إضافة إلى رغبته في فضح جرائم كاستنر، سعى غرينوالد لتشويه المباي أيضاً، مطالباً بطرد كاستنر من الحزب وتشكيل لجنة تحقيق في الظروف التي أدت إلى إبادة يهود هنغاريا. ادعى غرينوالد من خلال كتيّب قام بكتابته وتوزيعه مجاناً في مدينة القدس، أن المفاوضات التي جرت بين كاستنر وأيخمان سهلت عملية تدمير اليهود في الوقت الذي كان فيها فائدة شخصية لكاستنر. في الكتيّب الذي أرسل منه نسخاً لحزب «همزراحي» أيضاً، كتب العام ١٩٥٥: «يجب إقصاء كاستنر، لثلاث سنواتٍ كنت أنتظر هذه اللحظة التي أجلبه فيها للمحاكمة... الانتهازية الذي استمتع بأفعال هتلر من سرقة وقتل، وعلى أساس خدعه الإجرامية وتعاونه مع النازية... أنا أدينه بأنه قاتل بالإبادة لاخوتي الأعزأء...».

زعم غرينوالد أن كاستنر كان في صداقة مع النازيين وأيخمان أثناء مفاوضاتهم، وبسبب تلك الصداقة سمح له بإنقاذ أقاربه وعدد صغير من النخب اليهودية الهنغارية، وفي المقابل، سمح كاستنر للنازيين باستخدامه من خلال تعهده عدم إخبار اليهود الهنغاريين بالوجهات الحقيقية للقطارات التي ركبوها غصياً. كذلك ادعى غرينوالد أن كاستنر وبالتواطؤ مع بعض النازيين قد سرق مال اليهود ومن ثم ساعد في إنقاذ الضابط النازي «بيخر Becher» من خلال شهادة أدلها في محاكمات نيرنبرغ الألمانية.

اضطر كاستنر للرد على هذه الاتهامات بعدما حذره مدعي الدولة العام بأن عليه إما رفع قضية ضد غرينوالد أو عليه الاستقالة من منصبه الحكومي. رفع كاستنر قضيةه بالفعل على غرينوالد، ولكن، وبطريقة ما، كان المتهم مُتهماً والمتهم مُتهماً؛

## الآن في الأسواق

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»

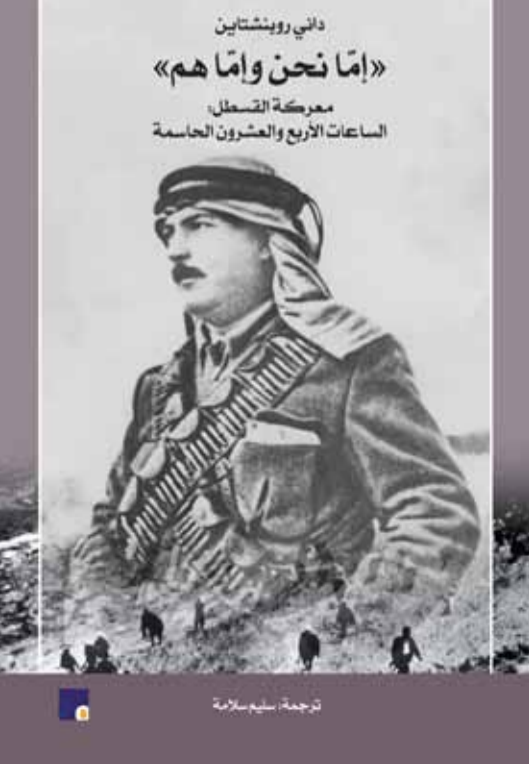
## «إمّا نحن وإمّا هم»

معركة القسطل:

الساعات الأربع والعشرون الحاسمة

ترجمة: سليم سلامة

داني روبنشتاين  
«إمّا نحن وإمّا هم»  
معركة القسطل  
الساعات الأربع والعشرون الحاسمة



ترجمة: سليم سلامة



سورية: انقراض بلاد.

## «الربيع العربي» في نظر إسرائيل: بدايات مقلقة وانحراف أدى إلى التطبيع!

كتب خلدون البرغوثي:

كعادة إسرائيل، فإنها تقدم الاعتبارات والمصالح الأمنية والسياسية الخاصة بها على أية اعتبارات أخرى في تعاملها مع التطورات الداخلية والإقليمية والدولية، ولم تتبدع إسرائيل في تعاملها مع أحداث «الربيع العربي»، وأحداثه ونتائج من منظور الإيجابيات والسلبيات بالنسبة لها سياسيا وأمنيا واستراتيجيا. ومع مرور عقد على بداية الثورات التي تحول بعضها إلى حروب أهلية، وإلى حروب بالوكالة، استعرض محللون ومراكز أبحاث آثار الأحداث التي عصفت ببعض الدول العربية على إسرائيل، من ناحية، كذلك استعرضوا من ناحية أخرى مآلات الثورات العربية حاليا، كبروز محاور متضادة غيرت في موازين التحالفات السياسية في المنطقة. ويلاحظ حضور إيران بشكل واضح في مقاربات الباحثين والكتاب حول مرور عقد على بدء الربيع العربي.

### رسم حدود الشرق الأوسط

يستعرض عضو الكنيست السابق تسفي هاووزر في تحليل في مجلة «هشيلواح» المتخصصة في الشؤون الفكرية والسياسية، آثار الثورات العربية على رسم حدود إسرائيل من منظور استراتيجي قومي.

ويعتبر هاووزر أن الربيع العربي غير نقطة التوازن التي كانت قائمة في الشرق الأوسط منذ اتفاقيات سايكس-بيكو العام ١٩١٦، وأثار تساؤلات حول بعض حدود المنطقة، ومنذ بداية أحداث الربيع العربي، قوّضت قوى قديمة- جديدة، قائمة على أسس دينية وقبيلية، الأنظمة الحاكمة وتقاومت مجالات النفوذ بينها طامسة الحدود المتعارف عليها، فالتحولات السكانية القسرية وتبلور مناطق الحكم الذاتي كواقف على أساس الهوية العرقية أو الدينية، أعادت تشكيل المساحة المعيشية للتنوع البشري التي تشكل المنطقة.

ويؤرخ هاووزر أن من أبرز تداعيات الربيع العربي بالنسبة لإسرائيل إنشاء محور شيعي متطرف متواصل بريا من طهران إلى القنيطرة على حدود الجولان، وأصبحت إيران البعيدة جغرافيا آلاف الكيلومترات عن إسرائيل، موجودة على الحدود الشمالية لإسرائيل في منطقة خالية من الحكم، أو المنطقة الحرام- هذه الحدود - كما يقول هاووزر- كانت في الماضي القريب تفصل إسرائيل عن كيان سياسي يسمى سورية.

ويؤرخ هاووزر أن الأحداث العاصفة التي شهدتها المنطقة في السنوات العشر الأخيرة لم تصل إلى نهايتها بعد لعدة عوامل، التغيير المناخي، وندرة المياه، والنمو السكاني، والمجاعة، وجائحة كورونا، إلى جانب الصراعات الدامية، وثقافة الثأر، ومنع الشرعية للإرهاب وحل النزاعات بالعنف. كل هذا العوامل حسب هاووزر تبرز لإسرائيل وجيرانها والعالم تخوفهم من موجة أخرى من انهيار الاستقرار في دول المنطقة. فأحداث الربيع العربي أعادت رسم حدود الشرق الأوسط بحكم الأمر الواقع حتى لو لم تكن حتى الآن بحكم القانون.

حدود الماضي - خاصة بين العراق والأردن وسورية ولبنان- تم تحديدها بشكل تعسفي ومن منطلق المصلحة الذاتية في اتفاقيات سايكس-بيكو قبل حوالي مئة عام، مع نهاية الحرب العالمية الأولى. كانت هذه في الغالب حدودا مصطنعة، متجاهلة التقسيمات العرقية والدينية والثقافية للشعوب والقبائل التي قسمت الفضاء الإمبراطوري العثماني، وأنشأت «دولا قومية» مخترعة. فتغيير حدود الشرق الأوسط بات عملية تاريخية ضرورية، حتى لو كانت في مهدها فقط. ويتوجب على إسرائيل، كقوة شرق أوسطية، أن تتقود الخطاب الاستراتيجي الذي يعترف بهذا الاحتمال، وهو خطاب تجد أوروبا صعوبة في الاعتراف به.

### صعود الإسلام السياسي

أعاد معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي الشهر الماضي نشر دراسة أعدت العام ٢٠١٣ تستعرض فيها الباحثة بينيديتا بيرتي، أثر الربيع العربي على صعود حركات الإسلام السياسي، وتشير الدراسة إلى أن نتائج الثورات لم تكن لصالح كل الحركات الإسلامية في المنطقة، فمثلا حزب الله بقي على هامش الأحداث وخسر الثقة فيه بعد تدخله العسكري لصالح النظام السوري. لكن ورغم أن بداية الربيع العربي لم تات نتيجة لتحرك الإسلاميين في المنطقة، لكن في الدول التي حدث فيها تغيير في الأنظمة، تمكنت معظم الحركات الإسلامية من تحسين وضعها وقوتها، ووصلت إلى الحكم ولو لفترة مؤقتة، كما في مصر وتونس.

بالنسبة لإسرائيل - تقول الباحثة- فإن التغييرات السياسية في الدول المحيطة تشكل تغييرا في ميزان القوى في المنطقة، لذلك لم تتخذ إسرائيل موقفا رسميا تجاه مجريات الأحداث، لكنها اعتبرت أن التغييرات السياسية السريعة وغير المضبوطة لن تكون في النهاية لصالحها. ومع اندلاع الأحداث كان القلق في إسرائيل يتمحور حول استقرار الدول المحيطة وإمكانية تأثير ذلك على اتفاقيتي السلام بين إسرائيل ومصر وإسرائيل والأردن.

وحسب بيرتي فإن إسرائيل كانت تدعم بقاء الوضع القائم [الأنظمة السابقة] في تونس ومصر، وانعكس ذلك في تصريحات رئيس حكومتها بنيامين نتانياهو بأمله أن يعود الاستقرار إلى تونس، وعبر رئيس هيئة الأركان السابق وزير الدفاع حينئذ شأؤول موفاز عن أمل مشابه بالنسبة لمصر عبر سيطرة النظام على الاحتجاجات ضده.

وفيما يخص سورية، تقول بيرتي إن وجهات النظر تباينت في إسرائيل بالنسبة للنتيجة المفضلة لها لمصير الثورة هناك، فقسم في القيادة الإسرائيلية رأى أن بقاء نظام بشار الأسد سيساهم في الاستقرار الحدودي في الجولان، وانهياره قد يؤدي إلى وصول قادة أكثر تطرفا للحكم، أما القسم الثاني فرأى أن سقوط نظام الأسد سيشكل ضربة للنفوذ الإيراني وسيؤدي إلى تحسن الوضع الأمني بالنسبة لإسرائيل.

أما في تونس فتتمكنت حركة النهضة الإسلامية من

الوصول للحكم، لكنها أبدت مرونة في التعامل مع الأحزاب العلمانية من ناحية، وفتحت المجال لحركات سلفية بالعودة للعمل في الساحة السياسية من ناحية ثانية. رغم ذلك وبسبب عدم وجود علاقات دبلوماسية بين إسرائيل وتونس، فإن تطورات الوضع فيها ليست مصدرا للقلق الذي بالنسبة لإسرائيل، لكن القلق قد يتصاعد في حالة إقرار البرلمان التونسي مشروع قانون لتجريم التطبيع مع إسرائيل قدمته «الكتلة الديمقراطية» في مجلس نواب الشعب التونسي، في كانون الأول ٢٠٢٠.

وبالمجمل تعتبر الكاتبة أن الوضع (عام ٢٠١٣) قد لا يكون في صالح إسرائيل، لكنها توقعت على المدى البعيد أن يتغير الوضع لصالح إسرائيل، بفتح قنوات اتصال مع دول عربية وإسلامية. هذا التوقع، تحقق حاليا باتفاقات السلام بين الإمارات والبحرين والسودان والمغرب وبين إسرائيل. ضمن سعي دول ما تسمى «المحور السنّي المعتدل» لتشكيل جبهة تضم إسرائيل لمواجهة مساعي إيران للتمدد في الشرق الأوسط، خاصة في الدول التي تواجه صراعات عسكرية كسورية واليمن والعراق، وكذلك في لبنان كتبعات للثورات العربية.

### إيران و«الربيع».. معادلة الربيع والخسارة

في مقال نشرته مجلة «تسيكلون» الصادرة عن معهد السياسات والاستراتيجية في مركز هرتسليا تناول الباحث ميخائيل سيغل المتخصص في الشأن الإيراني، والباحث في مركز الدراسات التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» في الجيش الإسرائيلي سابقا، علاقة الربيع العربي بتمدد نفوذ إيران. المقال جاء تحت عنوان «ربيع عربي أم صخرة إسلامية: التوازن الاستراتيجي الإيراني بعد عشر سنوات من الاضطرابات في الشرق الأوسط».

يشير سيغل إلى أن إيران نظرت في البداية إلى الثورات العربية كتهديد، خاصة أنها خاضت تجربة العام ٢٠٠٩ على أراضيها في موجة الاحتجاجات التي سميت «الثورة الخضراء»، وخشيت أن تمتد عدوى الثورات العربية إليها من جديد. لكن لاحقا، تبين لظهران أن ما كانت تعتبره تهديدا لها بات فرصة استراتيجية، فضعف العالم العربي وتقويض الأنظمة التي كان بعضها دوا لدودا لإيران خلق فراغا سلطويا سارعت إيران إلى إيجاد موطن قدم لها فيه، ضمن سعيها لتحقيق رؤية «الهلل الشيعي» الممتد من الخليج حتى البحر المتوسط. وبذلك، مثلت إيران بشكل بارز نزعة تعزيز نفوذ القوى غير العربية في الشرق الأوسط في خضم الاضطرابات الإقليمية، في ظل الضعف المتصاعد في العالم العربي، من هذا المنطلق، يقول سيغل، حاولت إيران طرح الربيع على أنه «صخرة إسلامية»، منحتها فرصة لتعزيز رؤيتها العقيدية في المنطقة.

ويعتبر النفوذ الإيراني في سورية كأحد الإنجازات الاستراتيجية الكبرى بالنسبة لطهران في السنوات العشر الأخيرة. وتعتبر إيران سورية الحلقة الذهبية في سلسلة «محور مقاومة إسرائيل»، وهي ركيزة أساسية لاستراتيجية الأمن القومي الإيراني. فإلى جانب نفوذ

طهران وسيطرتها في لبنان، عمقت تدخلها العسكري في سورية لضمان استمرار حكم الأسد، كما استدعت حزب الله في ٢٠١٣ للقتال في سورية. علاوة على ذلك، تولي إيران أيضا أهمية كبرى لتحقيق تسوية سياسية في سورية مع انتهاء الحرب الأهلية، وتعتبر هذه التسوية نقطة تحول فيما تسميه «إعادة تصميم الشرق الأوسط».

ويعتبر سيغل أن إيران حققت نوعا من التوازن في إنجازاتها وإخفاقاتها مع مرور عقد على الربيع العربي، فيشير إلى أنها نجحت في حماية نظام الأسد في سورية، وحافظت على مصالحها في لبنان، وعززت مكانتها في العراق واليمن، واندمجت بنجاح في الجهود الدولية التي أدت إلى هزيمة تنظيم «الدولة الإسلامية»، لكن من ناحية أخرى، تلقت طهران ضربات عسكرية ومعنوية شديدة من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، وتواجه صعوبات اقتصادية مستمرة، وتكافح لاحتواء الاضطرابات الداخلية، كما تواجه إخفاقات في محاولاتها زعزعة استقرار دول عربية رئيسية.

ويرى سيغل أن تولي جو بايدن الرئاسة في الولايات المتحدة سيمتدح إيران ثقة نفس إضافية، قد ترفع من مستوى جراتها، عبر تنفيذها خطوات استفزازية في الشرق الأوسط، وكذلك في محاولتها تعميق نفوذها في رسم ملامح النظام المستقبلي في دول رئيسة في المنطقة، بما فيها سورية والعراق واليمن.

### «الربيع العربي» في الصحافة العربية

حظي مرور عشر سنوات على بدء «الربيع العربي»، بتغطية في الصحافة العربية، وتعود إيران لتفرض وجودها في المقالات والتحليلات الصحافية، كما يلاحظ. صحيفة «يسرائيل هيوم» ركزت على الثمن الدامي للحرب الأهلية في سورية. ويستعرض دانيال سيربوتوي ونيطع بار، تحت عنوان «عقد من الدم والدمار في سورية: الثمن الفظيع يواصل الارتفاع»، الوضع الإنساني السوري حاليا، بعد عشر سنوات على الاحتجاجات العنيفة التي انطلقت في درعا، ودفع نصف مليون شخص حياته في الأحداث التي تلتها، فيما تحول الملايين لاجئين داخل سورية أو خارجها.

ويقدم الكاتبان خطا زمنيا للأحداث على أساس سنوي، وكيف تحولت التظاهرات المطالبة بالديمقراطية إلى حرب شاملة يقدر خبراء أجانب أن ما بين ٣٥٠ ألفا إلى ٦٠٠ ألف شخص قتلوا خلالها، وهاجر من سورية أكثر من خمسة ملايين شخص، فيما هجر داخليا أكثر من سبعة ملايين آخرين، ليصبح أكثر من نصف سكان الدولة لاجئين عمليا.

ومع هذا الثمن الدامي، بقي الأسد على كرسي الحكم رغم المجازر التي ارتكبها نظامه، بما فيها استخدام السلاح الكيميائي، فيما تحولت سورية إلى دولة تحت احتلال روسي- إيراني، يتحرك فيها مقاتلو حزب الله بحرية.

وفي «مكور ريشون» يتناول مردخاي كيدار الأثر الذي تركه تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» على صورة الإسلام في نظر المسلمين أنفسهم بسبب ممارساته

في سورية والعراق.

وتحت عنوان «عقد على الربيع العربي: كيف فكك داعش صورة الإسلام؟»، يتناول كيدار عدة جوانب، منها سبب بقاء الأسد في الحكم، رغم سقوط رئيسين هما التونسي زين العابدين بن علي، والمصري حسني مبارك، خلال فترة قصيرة جدا، فيما بقي الأسد في الحكم.

يرى كيدار أن السبب الرئيس هو أن المجتمعين التونسي والمصري ليسا مجتمعين طائفيين، بالمقابل فإن سورية دولة طائفية، والأسد مدعوم من قبل طائفته (العلوية) سواء كان مصيبا أم مخطئا، وسواء كانت الدولة فاعلا إلى مشلولة.

وبعد استعراض تحول الاحتجاجات إلى حرب، يشير كيدار إلى دخول تنظيم داعش إلى الساحة السورية، وكيف ساهم ذلك في دخول روسيا وإيران وكذلك تركيا فعليا إلى المعركة.

لكن كيدار يترك التفاصيل ويشير إلى الضرر الكبير الذي تسبب به تنظيم داعش للعالم الإسلامي، عبر بثه صور عمليات الإعدام البشعة بطرق بشعة للرهائن والأسرى لديه. هذه الفظائع - حسب ظن كيدار- دفعت الكثيرين من الجيل الشاب في العالم الإسلامي إلى هجر الإسلام نفسه، لأنه باتوا يرون أن عدوهم يتكلم العربية والفارسية وليس العربية، وهذا قد يكون سببا في إقدام دول عربية مؤخرا على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، كنتيجة لهذا التغيير العميق.

وفي النتيجة يرى كيدار أن السنوات العشر للربيع العربي أدت إلى القضاء على التهديد السوري لإسرائيل، وجعلت سورية ساحة مستباحة لعدة دول، وتسببت للإسلام بضرر لا يمكن وصفه بسبب ممارسات داعش التي كان معظم ضحاياها من المسلمين.

في هذا الاتجاه يكتب أيضا محلل الشؤون العربية عويد غرانوت فيقول إن الحل بالنسبة لسورية يكمن في «شفاء الأسد من الطفرة الإيرانية» حسب تعبيره. فبعد عشر سنوات من الصراع، بقي الأسد في الحكم، لكنه خسر سورية لصالح إيران التي تواصل جهدها لتكريس نفوذها هناك من دون إظهار أي إشارة للانسحاب، بالمقابل لتفغل عناصر حزب الله في صفوف الجيش السوري بصفتهم مستشارين، فيما يواصل الجيش السوري تقديم الدعم العسكري لحزب الله مقابل النفط الإيراني. وإن عملية التخلص من النفوذ الإيراني في سورية وقطع العلاقة بين طهران ودمشق ستكون صعبة، يقول غرانوت، لكنها غير مستحيلة عندما يتعلق الأمر بالوسائل العسكرية فقط، كما أن الروس ليسوا متحمسين للنفوذ الإيراني، وكذلك النظام السوري المدِين لطهران بنجته ليس سعيدا بتحوله إلى رهينة لدى خامنئي.

الحل بالنسبة لغرانوت قد يكون الإغراء الاقتصادي، فسورية التي لم تعاف من الحرب الأهلية بحاجة إلى المليارات من أجل إعادة بنائها، فقط استعداد الدول الغربية لتوفير هذه الأموال لها مقابل ابتعادها عن إيران مع استمرار فرض العقوبات الدولية على النظام الإيراني، قد يساهم في «شفاء الأسد من الطفرة الإيرانية»، على حد تعبيره.



(أغيب)

السلطونيين في الداخل: محاولات التغيير تصادم بالتمييز البيئي الشامل.

## تقرير «بنك إسرائيل»: الوضع الاقتصادي الصعب السابق للمواطنين العرب جعلهم الأكثر تضرراً من جراء أزمة «كورونا»!

كتب هشام نفاع:

يقول «بنك إسرائيل»، البنك المركزي، في تقرير حديث له تناول المجرى الاقتصادي في العام الماضي ٢٠٢٠، ونشرت أجزاء منه على موقعه الشبكي، إن المجتمع العربي في إسرائيل وعلى نحو خاص كان الأكثر تعزماً للأضرار الناجمة عن تفشي وباء الكورونا والأزمة التي رافقته، والسبب الذي يشدد عليه التقرير هو خصائص سابقة لهذا المجتمع، اقتصادياً، وقد جعلته أقل قدرة على مواجهة الظرف الطارئ، البنك يقول فعليا إن التمييز المسبق المتجسد في الفجوة بين العرب واليهود هو السبب، وهو يحيل إلى مقارنة بين المجتمعين، العربي واليهودي، في القدرة والمناخ الاقتصادي السابقين للأزمة.

وهو يفتتح بالقول إن المجتمع العربي كان في وضع اقتصادي هش حتى قبل ظهور الأزمة، بسبب انخفاض دخل العديد من الأسر مقارنة بالأسر اليهودية، ويقول إن الأسر العربية في إسرائيل على نحو عام هي أسوأ ضعيفة اقتصادياً للغاية بالنسبة إلى الأسر اليهودية، وبالتالي فقد عانت من أضرار جسيمة تفوق غيرها خلال فترة كوفيد-١٩، وفقاً لتلخيص المعطيات التي عرضها «البنك» على موقعه الشبكي، ففي العام ٢٠١٨، أفاد حوالي ٤٠٪ من الأسر العربية أن نفقاتهم كانت أعلى من دخلهم، من دون القدرة على استخدام المدخرات السابقة، هذا بالمقارنة مع ١٠٪ فقط بين اليهود الذين سئلوا عن المسألة ذاتها، ونحو ١٨٪ من الأسر العربية تعمل بدون حساب مصرفي أو بحساب مصرفي مقلق، بسبب مصاعب مادية وإشكاليات مختلفة ناجمة عنها.

وبسبب هذه الصعوبات التي يواجهها المجتمع العربي، كانت الأضرار الاقتصادية التي عانى منها في أزمة الكورونا شديدة بشكل خاص، فقد وصلت نسبة الأفراد العرب الذين أبلغوا عن تأثرهم اقتصادياً بأزمة كوفيد-١٩ (٥٤٪) ونسبة العرب الذين أبلغوا عن انخفاض كبير في استهلاك الغذاء (٢٦٪)، وهي أعلى من المعدلات المماثلة في المجتمع اليهودي.

ويشدد تقرير «البنك» على أن تأثير الأزمة الاقتصادية على السكان العرب لا يقتصر على من فقدوا وظائفهم بل تعزز للأضرار والضائقة الأشد من ذي قبل، أيضاً العديد ممن وصلوا العمل في وظائفهم ومحللات عملهم.

الأسرة العربية تعتبر دائماً ضمن القطاع المعرض للخطر

يشير التقرير إلى أنه حتى قبل تفشي فيروس الكورونا،

كانت الأسرة العربية تعتبر ضمن القطاع المعرض للخطر، فقد بلغ في العام ٢٠١٨ متوسط الدخل الشهري ١٢ ألف شيكل في المتوسط مقارنة بـ ١٨ ألف شيكل لدى المواطن اليهودي - وهي فجوة تبلغ ٣٢٪. كما أن نحو ٤٥٪ من الأسر العربية تتلقى أجراً لا يصل إلى الحد الأدنى للدخل. ٢٩٪ فقط من العائلات العربية التي لديها أطفال يعمل كلا الزوجين فيها ويشركان في المدخل، مقارنة بـ ٦٦٪ في الأسر اليهودية، و ٥٦٪ من العمال العرب هم عمال موسميون من دون عقد عمل أو تثبيت في الوظيفة، مقارنة بـ ٢٨٪ من العمال اليهود الذين يعانون من المصاعب نفسها. «البنك» سبق أن أشار في تقرير سابق استعرض الخارطة الاقتصادية للضرر الذي لحق بنشاط فروع الجهاز الاقتصادي، إلى أن الضرر كان أعلى لدى الأسر التي فيها أحد المعيلين على الأقل مستقل. على سبيل المثال، في الأسر ذات الدخل المنخفض مع معيلين اثنين فإن احتمال بقائها دون عمل بلغ ١٩٪ في حال كان المعيلان مستقلين، و ١٥٪ في حال كان أحد المعيلين مستقلاً، و ١٢٪ في حال كان كلا المعيلين أجريين. الدخل المنخفض يؤثر أيضاً على مستوى المدخرات، ٤٠٪ من الأسر العربية ذكرت أنها مدينة بمبالغ مختلفة، من دون مدخرات واحتياطي مالي أو ما يوازيه، وذلك مقارنة بـ ١٠٪ من الأسر اليهودية التي تعاني الحال ذاتها.

وبالنظر إلى الأسر العربية وتقسيم في سدها وهو ما يعادل ثلاثة أضعاف ما يقابلهم بين الأسر اليهودية. وفقاً لبنك إسرائيل هذا كله جعل من الصعب جداً على الأسر العربية الحصول على ائتمان من البنوك التجارية بشروط مواتية في أثناء الأزمة، وجعلهم يضطرون إلى اللجوء إلى جهات يسميها «غير خاضعة للتنظيم»، والمقصود هنا الاقتراض من جهات خاصة، ويمكن الادعاء بأن قسماً كبيراً منها مرتبط بأذرع جنائية تعمل فيما يعرف بالسوق السوداء، وهكذا، ففي بداية أزمة كوفيد-١٩، ٤٦٪ من العرب أنه ليس لديهم سيولة نقدية أو نقود حقيقية للصرف، مقارنة بـ ٢٣ بالمئة من اليهود، فيما لو تم استثناء اليهود الحريديم من بينهم.

٢٦٪ من المعيلين العرب قللوا من استهلاكهم الغذائي! وفق معطيات بنك إسرائيل ظهرت مكانم الضعف الاقتصادي هذا، الناجم عن فجوة على أساس قومي عملياً، خلال فترة الكورونا: ٥٤٪ من العرب أفادوا بتدهور الوضع الاقتصادي، مقارنة بـ ٤٢٪ من اليهود. كانت الأضرار بشكل رئيس في صفوف الرجال الذين تبلغ أعمارهم ٤٤ عاماً أو أكثر ولديهم أطفال، بل أفاد ٢٦٪ من المعيلين أنهم قللوا من استهلاكهم الغذائي، مقارنة بـ ١٤٪ من اليهود.

يقول التقرير: تتفاقم الفجوات بين البيوت العربية واليهودية نظراً لحقيقة أن الكثير من العائلات المجتمع العربي يعمل فيها أحد الزوجين فقط، هناك معيل واحد فقط، غالباً ما يكون هو الرجل وهو ما يصعب مواجهة الأزمات الطارئة، التي تشكل الكورونا مثالاً ساطعاً وقاسياً عليها.

هذه المعطيات أعلاه، التي تؤكد التأثير المنهجي الحاسم للوضع الاقتصادي السابق للأزمة على مدى التأثير السلبي منها، تؤكد مختلف الدراسات، وأقر «البنك الدولي» بأن دراسة حديثة حول التأثيرات التي خلفتها خمس جوائح وقعت بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠١٦ توصلت إلى أن مستويات عدم المساواة في الدخل في البلدان المتضررة زادت في المتوسط بشكل مطرد على مدى السنوات الخمس التي أعقبت كل جائحة منها، وكانت التأثيرات أشد عندما أدت الأزمة إلى انكماش في النشاط الاقتصادي، كما هي الحال تماماً مع جائحة كوفيد-١٩.

التوقعات قصيرة الأجل الصادرة عن البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تشير إلى أن معدلات الفقر المدقع في جميع أنحاء العالم وعدم المساواة في الدخل للاقتصادات ذات الدخل المنخفض واقتصادات الأسواق الصاعدة من المرجح أن تزداد، وداخل البلدان ذاتها، تشير البيانات الأولية إلى أن التأثيرات الناجمة عن جائحة كوفيد-١٩ في سوق العمل غير متكافئة بشكل ملفت للنظر، وتتوزع حسب خصائص كل من الوظائف والعمال والشركات، وتبين البيانات والمعطيات احتمال أن توقف العاملين الحاصلين على تعليم جامعي عن العمل يقل مقارنة بمن هم أقل تعليماً في معظم البلدان، وأن النساء المشاركات في المسح الاستقصائي أكثر عرضة للتوقف عن العمل مقارنة بالرجال، وتظهر المسوح الاستقصائية الهاتفية الخاصة بالشركات زيادة احتمال تأخر المصالح الصغيرة عن الوفاء بالتزاماتها المالية مقارنة بالشركات الكبيرة، وبالتالي، فإن وقوع خسارة مؤقتة لإيرادات هذه الشركات يمكن أن يتحول إلى تآكل أطول أجلاً في الوظائف ورأس المال التجاري، الأمر الذي يؤثر بشكل غير متناسب على العمال من الشباب، أو من أصحاب المهارات

المحدودة، أو ممن لا يمكنهم الحصول على رأس المال.

١٥٪ من الصفوف المدرسية لم تتمكن أبداً من التعلم عن بعد!

انعكس تأثير تفشي فيروس الكورونا أيضاً على الطلاب: ٣٠٪ فقط من الأسر العربية تتمتع بإمكانية مالية عالية إلى البنية التحتية للتعلم عن بعد، مقارنة بـ ٧٥٪ من اليهود (باستثناء الحريديم). أفاد ٤١٪ من أولياء الأمور أن أطفالهم لم يشاركوا بانتظام في التعلم عن بعد، وأفاد ١٥٪ من أولياء الأمور أنه في صفوف أطفالهم لم يتم التعلم عن بعد على الإطلاق.

كذلك أفاد ٣٣٪ من المواطنين العرب بتدهور وتفاقم الحالة النفسية لأطفالهم، مقابل ٢٣٪ من اليهود. كما سُجلت فجوات في صفوف الطلاب الذين يدرسون في معاهد التعليم العالي، فبين الطلاب العرب، انخفض معدل المشاركة في الحصص والمحاضرات من ٧٤٪ إلى ٤٨٪ خلال العام الماضي المتأثر بالكورونا، وهو انخفاض أكثر حدة مما لدى الطلاب اليهود.

الجدير بالذكر أن العديد من التحذيرات صدرت بشأن محدودية الاستفادة من التعلم عن بعد، كلما كان الوضع الاقتصادي أسوأ، وصحيفة «ذي ماركر» كانت قد تطرقت للموضوع متوقفة عند عرض السلطات لـ «التعلم عن بعد»، اغلاقات وإجراءات تقييد واسعة، إنه: لا يفي بالمطلوب ولا يلبي الاحتياجات، لأن «السحر» أيضاً يحتاج إلى أفعال، فلا توجد أجهزة حاسوب كافية وملائمة للتعلم عن بعد ولا يوجد عدد كافٍ من المعلمين، وفقاً للإحصائيات الرسمية في ذروة الأزمة، لم يكن يمتلك حوالي ٢٠٪ من الطلاب (٣٧٥ ألفاً) جهاز حاسوب في منازلهم، وثلاث المدارس (٣٣٠٠) ليس لديها جهاز حاسوب واحد في الصفوف الدراسية.

مدير دائرة التعليم في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD أندرياس سلايخز قال خلال جلسة للجنة حقوق الطفل في الكنيست في أواخر ٢٠٢٠، أي بعد عدة اغلاقات وإجراءات تقييد واسعة، إنه: في سياق الجائحة، الكثير من المدارس تقول إنه لا يوجد لديها عدد كافٍ من وسائل التعلم عن بعد، ومعظمها، بالتأكيد، في المناطق التي تعيش فيها المجتمعات الضعيفة، ففي الصين ٩٠٪ من المعلمين يعرفون كيف يستخدمون التكنولوجيا ضمن التعليم عن بعد، بينما في إسرائيل فإن الأمر لا يبدو كذلك!

الأقل فرصة للتعلم عن بعد - الأقل أجراً ودخلاً

لجنة متابعة التعليم للمواطنين العرب أشارت في تقرير لها، الصيف الفائت، إلى وجود نقص حاد في وسائل

التعليم عن بعد، مشاكل في البنية التحتية في البلدات العربية، وواقع تكنولوجي صعب في المدارس، فبالرغم من أن وزارة التربية والتعليم أعلنت أنها تعزز توفير أجهزة الحاسوب للأطفال الذين لا يملكون الحاسوب والاستثمار في المعدات المدرسية وتحسين أوضاعهم من ناحية الحوسبة والتكنولوجيا وشبكة الاتصالات، فإن هذا سيكون خلال العام الدراسي وليس في بدايته، في ظل النقص الكبير في المجتمع العربي، الذي يفتقر إلى حوالي ١٤٠ ألف جهاز حاسوب، بالإضافة إلى ذلك، توجد في العديد من البلدات مشاكل متعلقة بالبنية التحتية وضعف شبكة الإنترنت تتطلب حلولاً جذرية، ولغاية إيجاد حلول جذرية يجب تزويد الطلاب والمدارس بوسائل مؤقتة لضمان الاتصال بالإنترنت، هناك أيضاً نقص في المعلمين المؤهلين إلى جانب ١٣ ألف معلم جديد بدون تأهيل وتدريب، المدارس تعاني أصلاً من نقص في المعلمين المؤهلين وستضطر الآن إلى تشغيل الآلاف من المعلمين غير المدربين وسيكونون مسؤولين عن تعليم طلاب الصفين الثالث والرابع في نصف اليوم الدراسي، وهؤلاء يتم توظيفهم على قاعدة أجر مقابل ساعة العمل، وهم محرومون من حقوق كثيرة متعلقة بتبنيهم في وظائفهم، مما يدفعهم إلى وضع يتروكون فيه العمل في أي وقت.

للتذكير: في أواسط حزيران الماضي، نشر بنك إسرائيل تحليلاً أجراه قسم الأبحاث، فحص جاهزية جهاز التعليم في إسرائيل للانتقال للتعليم عن بعد كما تم تقييمها قبل أزمة الكورونا والفروق من حيث الجاهزية ما بين مختلف المجموعات السكانية في المجتمع الإسرائيلي، مع إجراء مقارنة دولية، وتطرق التحليل إلى جاهزية التعليم عن بعد من زاويتين: مدى توفر البنى التحتية التي تتيح التعليم الناجع عن بعد، مثل مكان هادئ للتعلم وجهاز حاسوب مع شبكة إنترنت، وجاهزية المدرسة لدمج الأدوات الرقمية في التدريس، مثل مستوى مهارة المعلمين وحجم استخدام الأدوات الرقمية خلال التدريس في الأوقات الروتينية.

وقد أظهر فحص مستوى توفر البنى التحتية للتعلم عن بعد أنه لدى ٦٠٪ من الأسر في إسرائيل هناك مناهج جيدة للتعلم عن بعد، سواء من حيث توفر مكان هادئ للتعلم أو من حيث توفر جهاز حاسوب وشبكة إنترنت، بينما لدى ٢٠٪ من الأسر مناهج البنى التحتية التي تمكن من التعليم عن بعد منخفضة جداً، النسبة الأعلى من الطلاب مع مستوى مناهج منخفضة ينتمون إلى المجتمع العربي ومجتمع اليهود الحريديم، وما يميز هذين المجتمعين أنها يعانيان من مستوى دخل منخفض!

المنشهر الإسرائيلي يصدر بالتعاون مع  
وزارة الخارجية النرويجية

THE REPRESENTATIVE OFFICE OF NORWAY  
TO THE PALESTINIAN AUTHORITY

محتوى المنشهر الإسرائيلي لا يعكس بالضرورة  
موقف وزارة الخارجية النرويجية

تابعونا على الفيسبوك

facebook  
http://tiny.cc/ywgg4

وقناتنا على اليوتيوب

You Tube  
http://tiny.cc/nkdp

رام الله - الماصيون - عمارة ابن خلدون - ص.ب: 1959  
هاتف: 00970 - 2 - 2966201  
فاكس: 00970 - 2 - 2966205  
البريد الإلكتروني لـ «مدارة»:  
madar@madarcenter.org  
موقع «مدارة» الإلكتروني:  
http://www.madarcenter.org

مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية  
MADAR The Palestinian Forum for Israeli Studies

«مدارة»: مركز متخصص بمتابعة الشأن الإسرائيلي، تأسس عام ٢٠٠٠. يحاول المركز من خلال إصداراته المختلفة أن يقدم بعيون عربية قراءة موضوعية وشاملة لمختلف تفاصيل وجوانب المشهد الإسرائيلي